مخاض

كادت الرأس أن تنفلت من بين السيقان التي أوهنها الألم، جثت علي ركبتيها، وأنا أعضُّ علي شفتي السفلي، وتعكزتُ علي بعض الأيدي، وعندما علا صوتي، رمقني الطبيب من حجرة الولادة، بنظرة عجوز مجربة وأشار للحكيمة : هاتيها بسرعة .

بالغرفة خمسة أسرّة، اثنان في مواجهة ثلاثة يتوسطهم حوض كبير، المشمع الأحمر الذي يفترشهم يزيد الحجرة سخونة ورائحة المواد المطهرة تملأ المكان .

نظرتُ إلي من ترقد علي السرير المقابل، وأنا أكز علي نواجذي من الألم، حين تعالي صراخ وليدها، اعتدلتُ جالسة مرة أخرى، وصوت دقات قلبي تطغي علي الزغاريد التي علت بالخارج بعد سماع كلمة: مبروك، وما لبثت أن سكنت الغرفة بعد أن أعلنت الحكيمة " بنت أمورة"

تسمرت عيني على المولودة، التي انهمكت الممرضة في تنظيفها، ولفّها في الملابس البيضاء الجديدة خلف البرافان .

أحسستُ بجسدي كله يتفتح، ينضح عرقا وعروقي تتسع وتتفتح، وحلقي كالأرض الجدبة يشققه الجفاف

- ادفعي .. الرأس في يدي

الألم يتزايد، تكاد عيناي علي الجحوظ، تحسستهما في محاولة للتيقن أن ما يسيل حولهما عرق دافيء وليس دماء

- ادفعي .. أكثر .. أكثر

لا يوجد أكثر من هذا دفعا، خراطيم من الدماء سوف تنفجر من كل مسامي، وتخيلت للحظة أن أحشائي حتما ستخرج من مسامي هي الأخرى

- ادفعي .. ادفعي ..الرأس

لا أدري كيف تنسى النساء كل هذا الألم، ليحبلن مرة ومرات . تزايد الألم والطبيب العجوز يحشر يديه كلتاهما يحتضن الرأس

- أكثر .. ادفعي ستخنقي طفلك

دفعتُ أكثر في محاولة يائسة، وجسدي يتحول إلى كرة منتفخة لا ملامح لها، والماء ينضح أكثر، وحينما علا صوتي، باغتني الطبيب

المساعد بمنشفة صغيرة أطبق عليها بأسناني، وهو يشير بسبابته علي فمه:

- هس، ادفعي دون صراخ ... إلى الداخل .

علا صوت وليد آخر تجاورني أمه، حاولتُ الجلوس وأنا أنظر إليها، فدفعني الطبيب المساعد مستغرباً.. ألقيت بالمنشفة تتعهد إشارة يدي بعدم الصراخ، ابتسم العجوز وهو يدير يديه فدارت دوامة من الألم تلف أحشائي، دفعتُ رغما عني، فانزلقت الرأس، تشد جسد الوليد، وانهمر السائل الذي كان يحتويه بداخلي ساحبا معه كل إحساس بالألم، وجاءني صوته صارخاً، لكن شيئا قويا كان يدفعني للنوم ويسرق مني الوعي سرقة.